تعامل علماء الأمة اليوم مع الوحي - د. سعيد الكملي نموذجا

كتبه غريب الديار بتاريخ الأحد ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٤٢

منذ يومين وقفت على فيديو على اليوتيوب لسعيد الكملي يرد فيه على من ادعى أنه يتبع الدليل دون أن يتمذهب.

في الواقع كلام سعيد الكملي كان صادما بالنسبة لي, كيف لشخص ذو عقل وعلم أن يقول ما قال ؟!

في أول الأمر أردت أن أرد على ما قاله في مسألة التمذهب, ولكني وجدت التنبيه على مشكلة أكبر وهي كيف يتعامل علماء الأمة اليوم مع الوحي, أهم بكثير من جزئية التمذهب, لذلك قررت الكتابة فيها وسأتخذ سعيد الكملي كنموذج لعلماء الأمة اليوم

https://youtu.be/EcUvOefcGRU

الوحي مشكل عند علماء الأمة اليوم

يعتقد جل علماء الأمة اليوم أن الوحي مشكل, أشبه ما يكون بالأحجية التي لها حلول لا نهائية, وذلك لكونه ظني الدلالة عندهم.

هذه النظرة للوحي عبر عنها سعيد في المثال الذي حجَّ به خصمه, حيث قال أن المذاهب الأربعة اختلفوا في المسألة على أربعة أقوال وكلهم يحتج بالحديث نفسه.

هذا يعني أن الحديث مشكل يصلح أن يكون حجة على مسألة ونقيضها في نفس الوقت

أكد سعيد الكملي على إشكالية الوحي في قوله من المجنون الأحمق الذي يحاول استنباط الأحكام من نصوص الوحي دون الرجوع إلى الذين شرحوه من قبل.

أي أن الوحي عسير يحتاج الشرح, ولا سبيل لفهمه إلا من خلال الشراح السابقين بحسب الكملي.

إن اعتبار الوحي مشكل عسير هو أمر غريب يرفضه من كانت له فطرة سليمة, وذلك لكون الله أكد على بيان وحيه ويسره مرارا في القرآن فقال جل من قائل

﴿ وَلَقَد يَسَّرنَا القُرآنَ لِلذِّكرِ فَهَل مِن مُدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]

لذلك من المستغرب كيف يجد العلماء والدعاة الوحي عسيرا لهذه الدرجة التي تحدث عنها الكملي.

لتفسير رؤية العلماء اليوم للوحي، علينا أن ننظر في منهجية التعليم التي تعلموا بها والتي أفرزتهم.

منهجية التعليم الديني اليوم

لقد أرشدنا سعيد الكملي إلى المنهجية المتبعة في تعليم الدين اليوم، وذلك حين قال أن الإنسان يستحيل عليه استنباط الأحكام من الوحي وأنه إنما يتبع الشيخ الذي يقرر ما يستنبط من الوحي استنادا على شروح المتقدمين، وعلى الإنسان تقبل ما قاله وحسب.

أي أنه إذا قال الشيخ النص كذا يستفاد منه كذا، الطالب يسجل ذلك كما هو دون تفكير.

أي أن المنهجية المتبعة في التعليم هي التلقين للتراث الذي كتب في عصر الانحطاط، وهكذا تمر فترة التعليم دون أن يحاول الطالب فهم نصوص الوحي أو حتى النظر إليها، فمعنى نصوص الوحي هو ما سينقله الشيخ

ونظرا لكون الشيخ ينقل من كتب الشراح الذين يجمعون كل ما قيل في المسألة موضوع النص، فإن الشيخ سوف يعطي للطالب أقوالا متناقضة متعلقة بنفس النص .

اختلف في المسألة إلى كذا من قول، فالمالكية قالوا كذا، والشافعية قالوا كذا ...

الطالب الأعمى المسكين الذي يتلقى كل هذا التناقض ولم يفكر بالنص، سوف يتولد عنده تصور أن النص هو أكثر شيء تعقيدا، والدليل أن فلان استفاد منه حرمة المسألة، وعلانا استفاد حليتها، وآخر استفاد كراهتها، وغيرهم استفاد مندوبيتها، وكلهم يعتمد على نفس النص فيما يدعون.

لذلك حين يقول سعيد الكملي مستنكرا من يجرأ على استنباط الأحكام من الوحي دون أن يرجع للشراح، فهو صادق في استنكاره فالمسكين لم ير نور الوحي يوما

أي أن منهجية التلقين لكل ما أنتجه الأحبار في عصور الإنحطاط هو السبب في كون علماء الأمة اليوم عميان لم يروا نور الوحي قط.

قبل أن أختم أود التنبيه على أن دعوى أن كل المذاهب معتمدين على نفس النص ومختلفين فيه، هي دعوى باطلة عند التحقيق، واختلافهم إنما هو بغي بينهم كما قال ربنا عنهم وعن حال الذين أتوا الكتاب من قبلهم

﴿ كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيّينَ مُبَشِّرينَ وَمُنذِرينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتابَ بِالحَقِّ لِيَحكُمَ بَينَ النّاسِ فيمَا اختَلَفوا فيهِ وَمَا اختَلَفَ فيهِ إِلَّا الَّذينَ أوتوهُ مِن بَعدِ ما جاءَتهُمُ البَيِّناتُ بَغيًا بَينَهُم فَهَدَى اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا لِمَا اختَلَفوا فيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذنِهِ وَاللَّهُ يَهدي مَن يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ ﴾[البقرة: ٢١٣]